The problems that faced the profession of pearl diving in Sharjah

Marwa Mohmaed Abdelrahman Al Suwaidi
Graduate student\ University of Sharjah
U16200696@sharjah.ac.ae
Associate Professor. Nadjib Benkheira, PHD
Department of History and Islamic Civilization
College of Arts, Humanities, and Social Sciences
University of Sharjah
nbenkheira@sharjah.ac.ae

DOI: 10.31973/aj.v1i140.1371

Abstract :

The profession of pearl diving and searching for it is the most prominent profession in the Arabian Gulf region in the pre-oil era. The profession of pearl diving had a great impact on economic development, which the Emirate of Sharjah and the UAE in general lived through, where the profession of pearl diving remained. The profession is the most widespread in the Emirate of Sharjah and the rest of the Emirates on the Gulf coast, due to the treasures that the Arabian Gulf contains in its interior, but this profession has faced many difficulties that have led to its disappearance and the reluctance of the people of the emirate to it because of its great hardships and dangers, and one of the most prominent of these was Risks; The emergence of so-called "cultured pearls" or "artificial pearls", which began to compete with the strength of natural pearls in the global markets, in addition to the outbreak of the First World War and the economic measures that followed that affected the pearl trade, as well as the great economic development that appeared in the Emirate of Sharjah and the Emirates The United Arab Emirates, and all the Gulf countries as a result of the emergence of oil and natural gas, which negatively affected this trade, which led to the extinction of its era and made it into oblivion.

Key words : Pearling, Pearl fishing, Cultured Japanese pearls

المشكلات التي واجهت مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ في الشارقة

الباحثة مروة محمد عبدالرحمن السويدي
طالبة ماجستير/جامعة الشارقة
قسم التأريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

د. نجيب بن خيرة
أستاذ مشارك – قسم التأريخ والحضارة الإسلامية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية – جامعة الشارقة

(مُلَخَّصُ البَحث)

تعد مهنة صيد اللؤلؤ والبحث عنه المهنة الأبرز في منطقة الخليج العربي في مرحلة ما قبل اكتشاف النفط، فقد كان لمهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ عظيم الأثر في التنمية الاقتصادية، والتي كانت تعيشها دولة الإمارات العربية المتحدة بصفة عامة والشارقة بصفة خاصة، حيث ظلت مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ المهنة الأكثر انتشاراً في إمارة الشارقة وباقي الإمارات على ساحل الخليج، نظراً لمايحتويه الخليج العربي من كنوز في باطنه، غير أن هذه المهنة قد واجهت العديد من الصعوبات التي أدت إلى اندثارها وعزوف أهل الإمارة عنها لما لها من مشاقٍ ومخاطر كبيرة، وكان من أبرز تلك المخاطر : ظهور ما يطلق عليه " اللؤلؤ المستنبت" أو "اللؤلؤ الصناعي" الذي أخذ ينافس وبقوة اللؤلؤ الطبيعي في الأسواق العالمية، بالإضافة إلى نشوب الحرب العالمية الأولى وما تبعها من إجراءات اقتصادية أثرت على تجارة اللؤلؤ، فضلاً عن التطور الاقتصادي الكبير الذي ظهر في إمارة الشارقة والإمارات العربية المتحدة ، وكافة دول الخليج نتيجة ظهور البترول والغاز الطبيعي، مما أثر بالسلب على هذه التجارة ،وأدى إلى اندثار عصر الغوص على اللؤلؤ وجعله في طي النسيان.

الكلمات المفتاحية:(الغوص على اللؤلؤ، صيد اللؤلؤ، اللؤلؤ الياباني المستزرع).

المقدمة :

حياة الخليجي ومستقبله مرتبط بماضيه، فمن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل، كلمات ورثناها وعشنا معها، فمن الوفاء للأجداد إحياء ماضيهم وحكاياتهم مع البحر بما فيها من كفاح وتحد للبحر وأهواله بوسائل بسيطة، وعزيمة قوية الى أن بينهما ألفة؛ فعشق الخليجي البحر، وبالمقابل منحه الخليج ما يهفو إليه من لآلئه الثمينة، فغدا اللؤلؤ مصدر رزقهم، وسبب ترفهم، وانتعاش حياتهم الاقتصادية؛ مما خفف عنهم إرهاق الجسد، وبعد الأهل حيث كانوا يمكثون أحياناً شهوراً في رحلة الغوص بما فيها من وداع للأهل، وابتسامات مختلطة بالدموع على أمل الرجوع بكنز وفير.

وقد أدركت الكثير من حياة الغواص وسجلت خواطري ؛أرجع إليها بين الفينة والأخرى؛ لأجد نفسي أملك كنوزا تمتلئ فخرا بتراث يفوح منه عبق الماضي التليد .

لذا أردت في هذا البحث الغوص في كفاح المجتمع الإماراتي بما فيه من تراث وشخصيات وأحداث متنوعة وبالذات في الإمارة الباسمة – الشارقة – مصداقا لقوله تعالى : " جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير – فاطر ٣٣ وقوله تعالى : يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان – الرحمن ٢٢

وسأعتمد في هذا البحث على المنهج الاسترادي التأريخي، وذلك على الرغم من أن موضوع الغوص على اللؤلؤ لم تتناوله البحوث السابقة بالتفصيل ؛ بسبب تركز البحوث على الذهب الأسود (النفط) .

مشكلة البحث:

إن ضعف الإقبال على مهنة الغوص أفقد دولة الإمارات العربية المتحدة – عامة – والشارقة – خاصة –شرياناً اقتصادياً لا يستهان به، إضافة للاضطرابات التي تعرضت لها المنطقة على مختلف الصُعُد، مما جعل معرفة بداية الغوص أمراً غير محدد على وجه الدقة، وافتقد إلى تدوين تلك البدايات بطريقة علمية دقيقة، والدولة في حاجة إلى إحياء تلك المهنة والعمل على تجاوز الأسباب التي أضعفتها، وتهيئة السبل لذلك.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه دعوة لإحياء التراث، فمن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل، وفي كونه دعوة للشباب الواعد للعودة لهذه المهنة ودعوة للآباء والأجداد لتحفيز شباب المستقبل على ممارستها؛ لأنها كانت أساس الحياة الاقتصادية في الفترة (١٨٢٠–١٩٢٨) وتذليل الصعوبات التي تواجههم؛ ليرفعوا من شأن الحياة الاقتصادية للدولة عامة والشارقة خاصة.

أهداف البحث:

- التعرف على بدايات مهنة الغوص على اللؤلؤ في الشارقة.
- التعرف على الدور الذي لعبه اللؤلؤ في انتعاش الحياة الاقتصادية في الشارقة.
- التعرف على العوامل التي أدت إلى تراجع مهنة الغوص في الشارقة.
- الدعوة إلى إحياء مهنة الغوص على اللؤلؤ.

تساؤلات البحث:

- ما الدور الذي لعبه الغوص على اللؤلؤ في إنعاش الحياة الاقتصادية في الشارقة؟
- ما الأسباب التي أدت إلى تدهور هذه المهنة واندثارها؟
- كيف نعيد الحياة إلى مهنة الغوص على اللؤلؤ في الشارقة؟

منهج البحث:

المنهج الاستردادي التأريخي

خطة تقسيم البحث :

- بدايات الغوص على اللؤلؤ في الشارقة
- المشكلات التي واجهت مهنة الغوص على اللؤلؤ في الشارقة
- أولا : استزراع اللؤلؤ الياباني وآثاره السلبية على تجار اللؤلؤ
- ثانيا : ظهور البترول والغاز الطبيعي واعتماد الامارة عليه .
- الخاتمة والتوصيات
- المصادر والمراجع

علاقة الخليجي بالبحر قصة عشق لا تنتهي، فمنذ أبصر الحياة وهو يرى أباه وجده وعشيرته ومن حوله يركبون البحر مكونين فريقاً كاملاً متعاوناً ومتحاباً من البحارة، فيصيدون سمكه ويغوصون في أعماقه؛ ليستخرجوا لؤلؤه ويعودون بطعام لعوائلهم وبرزق وفير يجنونه من بيع اللؤلؤ.

وشكل الغوص مصدراً مهماً للرزق، وعماداً للاقتصاد الوطني لآلاف السنين، واعتمدت عليه إمارة الشارقة اعتماداً كلياً؛ مما أدى الى ازدهار النشاط الاقتصادي في الإمارة، وكان لموسم الغوص طقوسه الخاصة واستعداداته الكبيرة على مستوى جميع طبقات المجتمع، وكان أصحاب السفن يلتزمون بمبالغ مالية للحكومة المحلية .

(أحمد ابن ثاني، ٢٠١٩، ص ١٤)(Ibn Thani,2019,p.14 Ahmed)

وعلى الرغم من عدم تحديد تأريخ لبداية الغوص إلا أن هناك إشارات إلى أن بدايتها كانت مع العصور الأولى لحضارة دلمون، وربما كانت العائدات الكبيرة لتجارة اللؤلؤ من العوامل التي لفتت انتباه الأوروبيين إلى الخليج العربي فقد كانوا ينتجون نصف محصول العالم من اللؤلؤ، بأرباح تقدر بحوالي تسعين مليون روبية، إذن فالغوص مهنة لها جذور تأريخية ، فهي قديمة أشبه ما تكون وراثية تعاقبتها الأجيال الماضية في منطقة الخليج العربي، وإن كانت قد أخذت أبعاداً واضحة في إمارة الشارقة، باعتبارها مصدراً أساسياً للرزق. وهذه الثروة التي كان السكان يحصلون عليها، أسالت لعاب الأوروبيين فحاولوا في فترات عديدة أن يحصلوا على امتياز صيد اللؤلؤ في الخليج باستخدام الوسائل الحديثة في الغوص، لكن محاولاتهم تلك باءت بالفشل، بسبب معارضة الأهالي والسلطات المهيمنة على مياه الخليج العربي في ذلك الوقت.**(جمعة الحميري، ٢٠١١، ص ١٤).(Jumah Al –Hamiri,2011,p.14)**

وفي كتاب دليل الخليج بقسميه التأريخي والجغرافي ذكر (لوريمر) إحصائية بأعداد السفن والرجال العاملين في مغاصات اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي، وبالتحديد السفن التابعة لمنطقة الشارقة حتى عام ١٩٠٧م، وقد ذكر أن عدد السفن في ميناء الحيرة بلغ ٢٥ سفينة وعدد الرجال العاملين بالسفن في ذلك الميناء وصل إلى ٤٠٥ رجال ، وبلغ عدد السفن في ميناء الشارقة ١٨٣ سفينة، وعدد الرجال العاملين بالسفن في ذلك الميناء ٣٦٨٠ رجلاً، وعدد السفن في ميناء الخان ٧٤ سفينة، وعدد الرجال العاملين بالسفن في ذلك الميناء ١٢٩٥ رجلاً، وبذلك يكون عدد السفن في الشارقة ٢٨٢ سفينة، وعدد الرجال الذين يعملون على تلك السفن هو ٥٣٨٠ رجلاً، وبالتالي فإن الشارقة تأتي في المرتبة الثالثة من حيث عدد السفن وأعداد العاملين عليها وذلك بعد أبو ظبي ودبي، وهذا الأمر يرجع إما لزيادة أعداد السكان في بعض الإمارات، أو للمقدرة المالية لبعض سكان الإمارات التي ساعدتهم على تجهيز هذه السفن، ومن أشهر التجار في تلك الفترة: ابن درويش، وحميد بن كامل، وعلي المحمود ، وعبدالرحمن بن حسن المدفع ، وعبيد بن عيسى النابوده. **(لوريمر، ١٩٧٦، ٦/٣٢٥١- ٣/١٨١٠/ حسين علي، ٢٠١٢، ص ٦-٧). (Lormer, 1976, 6 / 3251-3 / 1810 / Hussein Ali, 2012, pp. 6-7).**

انتعشت التجارة البحرية في الجزيرة العربية وأصبحت مركزاً للتجارة الدولية لقرون عديدة؛ نظراً لموقعها الاستراتيجي بين الشرق والغرب منذ ٤٠٠٠عام مضى، وقد احتل اللؤلؤ مكان الصدارة بين صادرات الشارقة ، كما كان تجار اللؤلؤ يتعاملون مع التجار في كل أنحاء العالم، ويصدرونه إلى الأسواق العالمية مثل : البحرين ، والهند، وسيريلانكا، وشرق إفريقيا، وبعض العواصم الأوروبية .

وازدهرت التجارة البحرية في-الشارقة تحديداً- في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري، الموافق التاسع عشر والعشرين للميلاد، ففي تلك الفترة كان يمثل أكبر صادرات الخليج عامة، والشارقة خاصة، حيث كان يقدر في سنة ١٨٧٣م بـ (٦٠,٠٠٠,٠٠٠) **(معلومات من متحف الشارقة البحري، زيارة شخصية). (Information from Sharjah Maritime Museum, personal visit).**

إلا أنه ومع بداية الصراع بين القواسم والإنجليز، ومع ازدياد الهيمنة البريطانية في شبه القارة الهندية، وبزوغ قوة القواسم حينها، ازداد نشاطها البحري مما جعل الإنجليز يرونه يشكل تهديداً مباشراً لأمن مستعمراتهم، ولمواصلاتها البحرية، - هذه سياسة كل مستعمر لخلق الذرائع للوصول إلى الأهداف التي تعود عليه بالنفع - لذا فقد توجه اهتمام بريطانيا في الشرق إلى الاتفاق مع شركة الهند الشرقية الإنجليزية وبشكل متزايد من ١٨٠٥ حتى

١٨١٩؛ لإخضاع القواسم والقوة العربية وتجريدها من سلاحها البحري. **(فيصل المندوس، د.ت، ص ٢٢).(Faisal Al-Mandoos, d. T, p. 22))**.

وبحلول عام ١٨٢٠ م، تم التوصل إلى ما يشبه معاهدة سلام عامة بين القوات البريطانية وشيوخ الخليج، وذلك عقب قيام البحرية البريطانية بالسيطرة الكاملة على الخليج العربي، وتدمير أسطول القواسم البحري، وكان الهدف من تلك المعاهدة تقليل عدد الهجمات التي تتعرض لها السفن البريطانية التجارية، وظل الوضع على ما هو عليه حتى حلول عام ١٨٣٥ م ، ففي ذلك العام اتخذت قيادات منطقة الخليج قراراً بدعم الاشتراك في الصراعات البحرية الدامية، وفي نفس العام –١٨٣٥– م وقعت معاهدة المصالحة؛ ليعرف الخليج بعد هذه المرحلة باسم "الساحل المتصالح"، وقد كان لمعاهدة "الساحل المتصالح" أثر عظيم في بداية استخراج اللؤلؤ .**(أحمد الشرقاوي، ٢٠١٥، ص ١٦٠).(Ahmad Al-Sharqawi, 2015, p. 160)**.

شكلت معاهدة السلام حجر الأساس لنشأة الإمارات المتصالحة؛ إذ حملت توقيع ثمانية من كبار شيوخ الساحل، وكان المغفور له الشيخ سلطان بن صقر القاسمي في طليعة الموقّعين على المعاهدة وذلك بتأريخ ٦ يناير ١٨٢٠ ،والتي تعهدت فيها جميع الأطراف، بإنهاء النزاعات البحرية بصورة دائمة، حيث تحولت بريطانيا بموجب هذه المعاهدة إلى شرطي تُحال له القضايا للبت فيها، وليحتكموا إليها عند وجود أي اعتداء على السفن أثناء موسم صيد اللؤلؤ، وفي العام نفسه وقّع بقية الشيوخ على المعاهدة . وعكست معاهدة الصلح البحري الدائم في ١٨٥٣ بين البريطانيين وشيوخ الساحل تأثيراً إيجابياً في نشاط التجارة، ورحلات صيد اللؤلؤ**(محمد الفارس، د.ت، ص ٢٧٠).(Muhammad Al-Faris, d. T, p. 270)**.

ولم يكن لأحد أن يتخيل في يومٍ من الأيام بأن تنتهي مهنة الغوص بهذه السرعة، بعد أن كانت عمود الاقتصاد في الشارقة والخليج العربي، فقد كانت المصدر الرئيس لكسب العيش لجميع الفئات وسكان هذه المنطقة، وظلت هذه المهنة مستمرة منذ قرون عديدة تطور فيها النظام الإداري والقانوني والعرفي، والذي ينظم جميع المعاملات والعلاقات بين التجار والممولين والنواخذة من طرف، وبين النواخذة والبحارة من طرف آخر، وبحلول خمسينيات القرن الماضي لفظت مهنة الغوص آخر أنفاسها حيث لم يستطع النواخذة تسديد الديون والنفقات المترتبة عليهم، من جراء رحلات الغوص، فقد أصبح الطلب عليه في الأسواق العالمية قليلا بعد أن كانت تتهافت عليه الناس لثمانة معدنه، ويرجع ذلك لنشوب الصراع الدولي في البلقان والحرب العالمية الأولى ١٩١٤، بالإضافة إلى الاستزراع .**(أحمد ابن ثاني، ٢٠١٩، ص ٤٤٩)).(Ahmad Ibn Thani، ٢٠١٩، p. 449**.

وهكذا اعتمد السكان في الشارقة على الغوص لاستخراج اللؤلؤ اعتماداً كبيراً حيث اعتبر شريان الحياة لأهلها، ولكن لأسباب متعددة ضعف اقبال الناس على الغوص خاصة بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي ومنافسته للؤلؤ الطبيعي، إضافة إلى رخص أسعاره مقارنة باللؤلؤ الطبيعي وفي نفس الوقت كان يشبهه كثيرا في الشكل فكان التزين به لا يختلف عن التزين باللؤلؤ الطبيعي.

ويعد الياباني (كوكيشي ميكيموتو) أول من استطاع الحصول على لآلئ كاملة الاستدارة عام ١٩١٢م، فقد قام بتربية المحار في أقفاص، وقام بتطعيمها بحبات كبيرة من ورق اللؤلؤ المزروع، وبذلك حصل على براءة اختراع من الحكومة، وقد ازدهرت تجارة (ميكيموتو)، واستطاع التغلب على منافسيه واكتسب لقب (ملك اللؤلؤ) بلا منازع، ولم يصل عام ١٩٢١ حتى أصبح نشاطه عالمياً ووصلت تجارته أسواق أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وكان يردد بفخر أنه "يريد أن يزين جِيد كل امرأة في العالم بعقد من اللؤلؤ. **(أحمد ابن ثاني، ٢٠١٩، ص ٤٥٠).(Ahmad Ibn Thani، ٢٠١٩، p.450)**

وانتشر اللؤلؤ المستزرع في الإمارات، واتجهت الاتهامات آنذاك نحو الهنود والإيرانيين، ففي عام ١٩٢٤م وصلت الأخبار من بومبي إلى الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي ،تفيد بأن بعض التجار الهندوس والإيرانيين قد اشتروا كميات كبيرة من اللؤلؤ المستزرع تقدر قيمتها ب ٢٠٠ ألف روبية؛ وذلك لأجل خلطها باللؤلؤ الطبيعي وبيعها. **(محمد الفارس، د.ت، ص ١٧٦/ أحمد ابن ثاني، ٢٠١٩، ص ٤٥٠). .(Muhammad Al-Faris, D.T., p. 176 / Ahmad Ibn Thani, 2019, p. 450)**

وظهرت في عام ١٩٢٩م أزمة الكساد العالمي ، والتي أدت إلى انهيار أسواق الأسهم العالمية في نيويورك ، وبذلك امتنع التجار الأوروبيون عن شراء اللؤلؤ بعد الخسائر الكبيرة التي تعرضوا لها من جراء هذه الأزمة، وبما أنه أحد المعادن الثمينة التي يجري التعامل بها في البورصة، فإن إحجام التجار من التعامل به، أدى إلى وقوع إمارة الشارقة في أزمات اقتصادية حادة، بالإضافة إلى توصل اليابان إلى طريقة زراعة اللؤلؤ، مما أثر تأثيراً كبيراً على نهضة هذه الحرفة، وكذلك قل الطلب على اللؤلؤ الطبيعي بسبب منافسة اللؤلؤ الياباني الصناعي في الأسواق العالمية، ومن ناحية أخرى فقد ترتب على الكساد الاقتصادي الذي اجتاح العالم في هذا العام توقف سفن الغوص بعد أن عجز التجار الهنود عن تمويل تلك السفن ، وأخذوا يطالبون بتسديد ديونهم من تجار اللؤلؤ وأصحاب السفن .**(يوسف أبو الحجاج، ٢٠١٨، ص ١٨١).(Yusef Abu Al-Hajjaj, 2018, p. ١٨١)**

وأخيراً أصدرت الهند قراراً عام ١٩١٧م ،بحظر استيراد اللؤلؤ غير المصنع باعتباره من البضائع غير الضرورية؛ وذلك لضبط الاستفادة من عائدات التجارة الخارجية، وكان هذا القرار بمثابة المسمار الأخير في دفن هذه المهنة، فقد انخفض السعر من ٢٥٠ روبية إلى أن وصل إلى ١٠٠ روبية، وبهذا قل الطلب عليه.**(أحمد ابن ثاني، ٢٠١٩، ص ٤٥٠)).(Ahmad Ibn Thani, 2019, p.450)**

وهذا بدوره أدى إلى ضعف الحالة الاقتصادية لسكان الشارقة ثم كان لظهور النفط أثر في تحسين الأوضاع الاقتصادية لسكان الشارقة إذ أقبل الناس على العمل به؛ فزاد دخلهم وانتعشت حياتهم، وأغرى الشباب للعمل فيه فكان انجذابهم إليه يشكل تراجعاً كبيراً لمهنة الغوص. ومن هذا المنطلق سنتناول الحديث حول المشكلات التي واجهت مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ وفق التقسيم التالي:

أولا :استزراع اللؤلؤ الياباني وآثاره السلبية على تجار الشارقة.

ثانيا: ظهور البترول والغاز الطبيعي واعتماد الإمارة عليه.

أولاً :استزراع اللؤلؤ الياباني وآثاره السلبية على تجار الشارقة

لقد بلغت مهنة الغوص على اللؤلؤ في الشارقة ذروتها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وغدا اللؤلؤ كنزاً يستخرجونه، ويشكلونه، ويبيعونه، وتتزين به نساؤهم، إلا أنه بدأ بالتراجع مع بداية الحرب العالمية الأولى والركود الاقتصادي آنذاك، وبحلول عام ١٩٢٨ م بدأت تجارة الغوص والبحث عن اللؤلؤ بالانهيار السريع، فبعد أن كانت تلك المهنة هي المهنة التي يقوم عليها اقتصاد إمارة الشارقة وكافة بلدان الخليج، أصابها التراجع والتدهور غير المسبوق، ويعد استزراع اللؤلؤ الياباني أبرز عوامل اندثار مهنة الغوص على اللؤلؤ.

١ :أثر ظهور اللؤلؤ الياباني المستزرع على تجار اللؤلؤ:

وهكذا فقد أدى ظهور اللؤلؤ الياباني المستزرع إلى تراجع كبير في مهنة الغوص، حيث تمكن اللؤلؤ الياباني من منافسة اللؤلؤ الطبيعي بدرجة كبيرة، وذلك نظراً لما يتميز به من جمال الشكل وانخفاض التكلفة وانعدام المخاطر مقارنة باللؤلؤ الطبيعي، فبسبب الفارق الكبير بين أسعار اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ المستزرع ، قام بعض تجار اللؤلؤ من أصحاب النفوس الضعيفة بالعمل على خلط حبات اللؤلؤ المستزرع مع حبات اللؤلؤ الطبيعي، بغرض تحقيق المزيد من الأرباح، غير أن هذا الأمر قد تم اكتشافه في وقت لاحق، الأمر الذي جعل عشاق اللؤلؤ الطبيعي يحجمون عن شرائه خشية أن يقعوا فريسة لغش مثل هؤلاء التجار.**(مصطفى عزت، د.ت، ص ٢٢٣ و٢٢٤).(Mustafa Ezzat, d. T، p. 223 and 224).**

كان ذلك في منتصف العشرينيات من القرن العشرين، فقد بدأت تجارة اللؤلؤ الطبيعي بالانهيار التدريجي، وفي المقابل بدأ اللؤلؤ الصناعي بالانتشار في العالم، ودخلت كميات كبيرة منه إلى منطقة الخليج، وبدأ بعض التجار بخلط اللؤلؤ الطبيعي مع الصناعي وبيعه على أنه طبيعي في أسواق الهند وأوروبا، وأخذ اللؤلؤ الطبيعي يفقد مكانته.

كان اللؤلؤ الصناعي قريب الشبه من الطبيعي، إلى درجة أنه من الممكن خلطه بالطبيعي من دون تمييز بينهما، وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللؤلؤ الاصطناعي لم يكن لؤلؤاً مصنعاً، وإنما هو لؤلؤ مستزرع وفكرته قريبة الشبه من عملية تكون اللؤلؤ الطبيعي، وهي عبارة عن عملية استيراد اللؤلؤ داخل الرخويات وتحديداً المحار، ولكن اليابانيين قاموا بتطوير هذه الصناعة في تسعينيات القرن التاسع عشر ، بوضع أجزاء من عرق اللؤلؤ بين صدفتي المحار الذي يبلغ عمره ثلاثة أعوام، ومن ثم يوضع المحار في قفص يقذف به في المياه، وبعد مدة تتراوح ما بين عشرة أشهر وثلاثة أعوام، يجمع المحار لحصاد ما تجمع به من لؤلؤ،بحيث يكون من الصعب تمييزه عن اللؤلؤ الطبيعي بالعين المجردة، ويتطلب ذلك استخدام الأشعة السينية X-Ray أو الأجهزة البصرية المعقدة، ومن هنا أصبح انتشار هذا اللؤلؤ بكميات كبيرة في أسواق المنطقة يمثل تهديداً مباشراً وكبيراً لأهم صناعة في منطقة الخليج في تلك الفترة(**محمد الفارس، ٢٠٠٣، ص ١٧١ و ١٧٢/ مريم جمعة، د.ت، ص ٤٩**).(**Muhammad Al-Faris, 2003, pp. 171 and 172 / Maryam Jumaa, dt, p. 49)**

ولكن متى بدأ انتشار اللؤلؤ الاصطناعي في الإمارات والشارقة؟

تقول التقارير البريطانية إنه في عام ١٩٢٤ ظهر اللؤلؤ الاصطناعي لأول مرة في أسواق الإمارات، وقد عانى كثير من التجار من انتشاره، فكتبوا رسالة للوكيل السياسي في البحرين يشتكون له ويطلبون تدخله. وكانت الاتهامات موجهة إلى الهنود والإيرانيين، حيث إنه في عام ١٩٢٤م وصلت الأخبار من بومبي تفيد أن بعض التجار الهندوس والإيرانيين اشتروا كميات كبيرة من اللؤلؤ تقدر قيمتها بـ ٢٠٠ ألف روبية وذلك لأجل خلطها مع اللؤلؤ الطبيعي، الأمر الذي يمثل خطورة كبيرة نظراً لأن هذا الأمر من شأنه أن يؤدي إلى تخريب الاقتصاد الوطني المعتمد على المهنة الوحيدة المتبقية لأبناء الشارقة والمنطقة بأسرها، وبعد مرور أكثر من ست سنوات على انتشار اللؤلؤ الاصطناعي في الشارقة، أفاد عيسى بن عبداللطيف الوكيل المحلي للإدارة البريطانية في الإمارات – ومقره الشارقة – في رده على رسالة الوكيل السياسي في البحرين ، أنه تم القبض على أحد النجديين في الشارقة وهو يبيع لؤلؤاً اصطناعياً لمجموعة من التجار، وأمر الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة بالقبض عليه، وإيداعه في السجن، وتغريمه ألف روبية وتم مصادرة ما عنده من لؤلؤ

اصطناعي ، كما قام حاكم الشارقة بإلقاء القبض على بعض تجار البحرين الذين يتاجرون بهذا اللؤلؤ في الإمارات.**(محمد الفارس، ٢٠٠٣، ص ١٧٢ و ١٧٣).(Muhammad Al-Faris، ٢٠٠٣، p. 172 and317).**

ومن جهة أخرى نرى أن هناك مجهوداً كبيراً بذل من حاكم الشارقة،وكافة حكام الإمارات بقصد محاولة التصدي للجرائم التي كانت ترتكب بحق هذه المهنة، وما يترتب عليها من أثر ضار بالاقتصاد المحلي، فعلى الرغم من أن كل هذه الإجراءات كانت ضرورية لحماية الاقتصاد الذي بدأ ينهار، إلاّ أنه وفي ظل ضعف الإمكانات المتاحة في ذلك الوقت كان من الصعب حماية الأسواق بشكل فعال.

٢: أثر الأزمة الاقتصادية على تجارة اللؤلؤ:

قامت الحرب العالمية الأولى – الحرب العظمى –١٩١٤\١٩١٨ –وانتهت بهزيمة دول المركز (النمسا وألمانيا والدولة العثمانية) من قبل دول الحلفاء (روسيا وفرنسا وبريطانيا)،وترتب عليها حدوث أزمة اقتصادية عالمية طالت مختلف دول العالم، وكان من تبعاتها إحجام الأفراد عن شراء اللؤلؤ، والتوجه نحو شراء السلع الضرورية التي يحتاجونها في ظل تلك الأزمة، فاللؤلؤ من السلع الكمالية التي لا حاجة لها في ظل هذه الأزمة، وهذا الإحجام عن شرائه سبب له فترة ركود وكساد.

وعقب الحرب العالمية الأولى قامت العديد من الدول بإصدار العديد من الأنظمة والقوانين التي تحدد أوجه الإنفاق ،وتحديد أولوياته بحيث يكون الصرف على السلع الضرورية ، ومن ثم منعت تلك الدول استيراد السلع الكمالية ومن بينها اللؤلؤ ، حيث جاءت الهند – والتي تعد السوق الرئيسة لتسويق اللؤلؤ في العالم – على رأس تلك الدول، فهي أكبر وأهم مستهلك للؤلؤ الخليجي، وكان الهنود يستخدمون اللؤلؤ بغرض تزيين أعناق الكلاب، **(أحمد ابن ثاني، ص ٢٢٥).(Thani, p. 225 Ahmad Ibn)**

وأدت تلك القرارات الاقتصادية إلى :

- إحجام المستهلكين العالميين عن شراء اللؤلؤ الطبيعي.
- ضعف الإقبال العالمي على شراء اللؤلؤ الطبيعي.
- زيادة عرض اللؤلؤ الطبيعي بالمقارنة مع الطلب عليه.
- تدهور أسعار اللؤلؤ الطبيعي.
- خسائر تجار وتجارة اللؤلؤ الطبيعي الفادحة.
- فقدان رؤوس الأموال الممولة لأعمال الغوص لصيد اللؤلؤ الطبيعي في منطقة الخليج العربي.

- إحجام البحارة العاملين بمهنة الغوص لصيد اللؤلؤ الطبيعي في منطقة الخليج العربي عن العمل بهذه المهنة بعد ازدياد مخاطر العمل فيها.
- بسبب ضعف الإقبال على شراء اللؤلؤ الطبيعي من جهة، واستمرارية وفرة صيده من جهة ثانية، صار العرض أكبر من الطلب، فانخفضت قيمته، وصارت لا تتناسب مع تكاليف صيده واستخراجه، ودخل العاملون في مهنة صيد اللؤلؤ الطبيعي بأزمة اقتصادية خانقة.

وفي الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٠م واجه تجار الشارقة صعوبات جمة في بيع لآلئهم في تلك السنة ؛وذلك بسبب الركود في أسواق الغرب، علاوة على أن المحصول من الغوص نفسه كان هزيلاً، حيث تعرضت لعمليات غوص مفرط جعل اللؤلؤ ينضب فيها، وكان أصحاب سفن الغوص بدلاً من أن يحققوا أرباحاً في ذلك العام خسروا ،ولم يتمكنوا من تعويض نفقاته.**(سلطان القاسم، ٢٠١٩، ص ٩٢ و٩٣).(Sultan Al-Qasim, 2019, pp. 92 and 93)**

في ثلاثينيات القرن العشرين ازداد الاهتمام بمحاربة تجارة اللؤلؤ الاصطناعي ، بعدما بدأت آثار الأزمة الاقتصادية تتفاعل، وانهارت الأسهم العالمية في نيويورك عام ١٩٢٩م ، بعد أن كان اللؤلؤ أحد المعادن الثمينة التي يتم التعامل بها في البورصة، بالإضافة إلى أن كبار التجار الأوروبيين امتنعوا عن الشراء بعد خسائرهم نتيجة أزمة الكساد العالمية . **(محمد الفارس، ٢٠١٣، ص ١٨٨).(Muhammad Al-Faris, 2013, p. 188)**

من كل ما سبق أرى أنه ترتب على اختراع اليابانيين لتقنية اللؤلؤ الصناعي، وعلى فرض الهند ضرائب باهظة على اللؤلؤ المستورد من دول الخليج العربي، انحسار في تجارة اللؤلؤ بشكل كبير وواسع جداً، حيث إنها قاربت على الانقراض، وكان لهذه التراجعات الأثر الكبير في اقتصاد منطقة الخليج، وقد أدخلها في مرحلة معاناة شديدة، منعتها حتى من إنشاء البنى التحتية لها، حيث انتهى عصر اللؤلؤ بنهاية العشرينيات من القرن العشرين، وانتهى معه الازدهار الاقتصادي الذي نعمت به المنطقة طوال أكثر من خمسين عاماً ، ومنذ بداية الثلاثينيات دخلت المنطقة في نفق مظلم وطويل من الكساد والفقر والمعاناة، وكان انتشار اللؤلؤ الاصطناعي في منطقة الخليج بداية النهاية لصناعة الغوص للبحث عن اللؤلؤ، وما تبعه من انهيار سوق الأوراق المالية في نيويورك عام ١٩٢٩م .

ثانياً :ظهور البترول والغاز الطبيعي واعتماد الإمارة عليه

كان لظهور اللؤلؤ الصناعي وغزوه للأسواق، وللظروف العامة التي شهدتها المنطقة أثر كبير في انحسار مهنة الغوص على اللؤلؤ، وتراكمت الديون على التجار، وأشهر بعضهم إفلاسه بسبب هبوط تجارة اللؤلؤ وعدم استطاعة السفن الذهاب إلى البحر، وتوقف

الممولون عن إقراض الديون للصيادين. ومما زاد هذا الأمر سوءاً مهاجمة بعض البدو لمدن الساحل التي تتعاطى هذه الحرفة، والمطلع على أحوال الصيد يجد أن هذه الحرفة بدأت بالتراجع والانحسار تدريجياً بعد الثلاثينيات من القرن العشرين، إلى أن وصل الأمر إلى هجرها بعد تدفق النفط في إمارات ساحل الخليج العربي، ومجيء ثروات كبيرة لتلك الإمارات ، غطت معظم الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية لتلك المجتمعات.**(حسين مصطفى، ٢٠١٢، ص ١٥).((Hussein Mustafa, 2012, p. 15)** فكان ظهور النفط بمثابة الضربة القاضية لمهنة الغوص التي لم تعد مجزية في نظرهم، وغرقت مملكة الغوص على اللؤلؤ في أعماق الخليج العربي .

وقد تم اكتشاف النفط في أبو ظبي عام ١٩٥٨ في حقل (باب) وقد تم تصدير أول شحنة من حقل (أم شيف) عام ١٩٦٢ وبدأ المغفور له بإذن الله تعالى سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي آنذاك بتطوير إمارته، وتوالت الاكتشافات في الإمارات الأخرى، أما الشارقة فقد تم اكتشاف النفط فيها عام ١٩٧٢ من خلال شركة نفط الهلال، ومن أكبر حقولها حقل (المبارك)، وكان لاكتشاف حقل الغاز الطبيعي (محاني) أثر عظيم في تعزيز موارد الشارقة، وتوفير التنمية المستدامة ونال اهتماماً كبيراً من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة حيث يؤدي الى جذب الاستثمارات الصناعية للشارقة ، وتوفير الغاز الطبيعي للدولة كلها، ويدعم المسيرة التنموية للإمارة الباسمة، وينعش اقتصادها، ويوفر الرفاهية لأبنائها ،

وقد تسببت عمليات التنقيب عن النفط في تخريب لهيرات ومغاصات اللؤلؤ، وتحويلها من مغاصات للؤلؤ تجسد نقاء البيئة البحرية ، إلى حقول للنفط تجسد تلوث البيئة البحرية، تلك الحقول التي تسببت في تلوث بيئي واسع النطاق، وبالغ الأثر، سواء كان ذلك بسبب أعمال التنقيب عن النفط في قيعان حوض الخليج العربي، أو بسبب أعمال بناء واستثمار المنصات النفطية، أو بسبب غرق ناقلات البترول التي يطلق عليها حماة البيئة اسم "نعش البيئة"**(مصطفى عزت، ص ٢٢٧).(Mustafa Ezzat, p. 227)**.

فكانت تلك هي النعمة الكبيرة ، بل المعجزة التي عوض الله فيها سكان منطقة الخليج عن شظف الحياة وصعوبتها، وكل ما قاسوه في الماضي من بيئة قاحلة صعبة، وبحر واسع عانوا من خلاله مخاطر الغوص من أجل اللؤلؤ أكبر معاناة، فحل النفط (الذهب الأسود) محل الذهب الأبيض (اللؤلؤ) الذي انقرضت تجارته.**(احمد الشرقاوي، ص ١٦١ و ١٦٢).(Ahmad Al-Sharqawi, p. 161 and 162)**

كما أدى اكتشاف النفط وإنتاجه بكميات هائلة إلى طفرة واسعة في الدخل القومي لكافة دول الخليج، وأدى بالنتيجة إلى اعتماد اقتصادها الوطني على واردات النفط إلى حد بعيد، وإهمال الغوص للبحث عن اللؤلؤ، حيث إن مدخولات النفط تلعب دوراً رئيساً في تغذية خطط التنمية في دول الخليج بدرجات متفاوتة، وتمثل صادرات النفط أغلب صادرات هذه الدول تقريباً إن لم يكن كلها.**(محمد العيدروس، ص١٠).(Al- Muhammad Aidarous, p. 10)**

وهكذا انحسرت مهنة الغوص على اللؤلؤ في الشارقة شأنها شأن الإمارات الأخرى، ولم يعد الجيل الصاعد يفكر في مهنة يراها من الماضي، حيث انغمس في العمل بحقول النفط، ومايتفرع عنها من أعمال وفرت له وظائف مغرية، تحقق طموحه الاقتصادي .

من كل ما سبق يتضح لنا أنه في نهاية عام ١٩٢٦ م بدأت مهنة صيد اللؤلؤ في الانحسار حتى اختفت بشكل نهائي في أواخر الخمسينيات في بعض مناطق الخليج، **(علي راشد، ٢٠١٤، ص ٢٤٢-٢٤٤).(Rashid, 2014, pp. 242-244 Ali)**

يعود انقراض مهنة صيد اللؤلؤ إلى الأسباب الآتية :

١- كساد الحركة التجارية العالمية في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وانخفاض مستوى الحياة الاقتصادية في أوروبا وأمريكا، مما أدى إلى انخفاض الطلب على شراء اللؤلؤ بالأسعار المتعارف عليها في أسواق تلك الدول.

٢- الإنتاج الياباني من اللؤلؤ الصناعي – الذي ابتكر طريقته الياباني "كوكيشي ميكيموتو" –، الذي بدأ عام ١٨٩٥م، وراج عالمياً عام ١٩١٢م وأثر سلباً على أسواق اللؤلؤ الطبيعي؛ حيث إنه منافس سهل الإنتاج ورخيص الثمن،حيث يبلغ ثمنه ثلث ثمن اللؤلؤ الطبيعي تقريباً، بالإضافة إلى جودة صناعته ودقة تجهيزه؛ وذلك لأنه ينتج في مزارع خاصة بالمحارات تحت إشراف أخصائيين دون الحاجة إلى التعرض للمخاطر التي يتعرض لها صيادو اللؤلؤ الطبيعي.

٣- ظهور الثروة البترولية وما رافقها من نشاطات، وتطوير في الاستغلال على أيدي شركات البترول الأجنبية ، والتي أدت إلى خلق فرص عمل لمئات من الأيدي العاملة بأجور ثابتة وعالية نسبياً،وهجر الكثير من الغواصين الغوص وأعماله المحفوفة بالمخاطر، ومنهم من تعلق بأعمال ونشاطات صناعية وإدارية وتجارية لمواد أخرى غير اللؤلؤ.

الخاتمة:

وبعد، فقد تم تناول موضوع الغوص على اللؤلؤ من زوايا متعددة تؤكد العلاقة الوطيدة بين ابن الإمارات والخليج الذي أحبه، وغاص في أعماقه باحثا عن الذهب الأبيض، معرضا نفسه لمخاطر جمة، ولكنه السعي للرزق، والألفة بينه وبين الخليج الذي بادله الحب بكميات وفيرة من لآلئه النادرة التي ارتقت بابن الخليج، وعاش في ظلها حياة الغنى والرفاهية .... وتم التركيز على العوامل التي أثرت على هذه المهنة وأهمها : ظهور اللؤلؤ الياباني المستزرع ،ونشوب الحرب العالمية الأولى، والأزمة الاقتصادية، وظهور النفط، وأثر كل ذلك على مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ، ، وأدى تطور صناعة النفط إلى انهيار مهنة الغوص على اللؤلؤ، ليس بسبب تلويث مياه الخليج فحسب، وإنما بسبب انخفاض عدد الناس الذين يمارسون هذه المهنة الشاقة، حيث هجر الناس مهنتهم القديمة وتوجهوا للعمل في مجال النفط ذي الربح الوفير دون مشقة أو تعب، كل تلك العوامل أدت إلى اندثار هذه المهنة، ومع ذلك يظل ابن الشارقة قادرا على التأقلم مع كافة الظروف . وخلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1 – مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ كانت من أهم المهن في إمارات الخليج العربي، وبالذات في إمارة الشارقة.

2 – اعتمد اقتصاد إمارة الشارقة اعتماداً أساسياً على مهنة الغوص على اللؤلؤ.

3 – أثر ظهور اللؤلؤ الياباني المستزرع وما صاحبه بعد ذلك، وماتصف به من جمال ودقة وتشابه باللؤلؤ الطبيعي وماصاحب ذلك من رخص ثمنه إلى عزوف الناس عن شراء اللؤلؤ الطبيعي.

4 – كان لنشوب الحرب العالمية الأولى تأثيرٌ سلبيٌ كبيرٌ على مهنة الغوص على اللؤلؤ، نتيجة اتخاذ العديد من الدول إجراءات اقتصادية متقشفة ، ومادعت إليه من ترشيد للنفقات أثرت بشكل كبير على طلب الكماليات مثل الزينة باللؤلؤ وجعلت الناس يسعون إلى توفير الحاجات الأساسية متجاهلين ماعداها من متطلبات ثانوية .

5 – شكل ظهور النفط في منطقة الخليج الضربة القاضية لمهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ؛ نتيجة لاعتماد إمارة الشارقة وكافة إمارات الخليج على النفط كمصدر لقوتها الاقتصادية بدلاً من اللؤلؤ الذي لم يعد يقدم مايكافئ الجهد المبذول فيه، والمخاطر المتوقعة في الغوص.

التوصيات:

١- غرس الانتماء للتراث في قلوب الجيل الحالي والأجيال القادمة

٢- إقامة المعارض الخاصة بإحياء التراث، وبالذات مهنة الغوص على اللؤلؤ، والتعريف بالأدوات التي كانوا يستخدمونها من حيث مسمياتها واستخداماتها، وتوضيح ذلك بالصور والمجسمات والأفلام

٣- إحياء مهنة الغوص على اللؤلؤ، وإنشاء معاهد متخصصة بها مزودة بالآلات الحديثة المساعدة، والتي من شأنها تقليل مخاطر الغوص.

٤- التحفيز المادي والمعنوي لمن يمارسون هذه المهنة من الشباب.

٥- إعداد حلقات نقاشية منتظمة حول مهنة الغوص، باستضافة الآباء والأجداد ممن لهم دراية بهذه المهنة، تشارك فيها وسائل الإعلام المختلفة خاصة تلفزيون الشارقة وتلفزيون الوسطى.

٦- منح موضوع الغوص على اللؤلؤ نصيباً وافراً من الدراسة والبحث خاصة في الجامعات، وجعله مادة ثرية لطلاب الدراسات العليا.

٧- التأكيد على أن يكون للتراث نصيب في المناهج الدراسية؛ ليزداد تقدير الآباء والأجداد وشكر الله – تعالى – على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

٨- إعداد مسابقات تراثية يكون من ضمنها موضوع مهنة الغوص على اللؤلؤ.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن ثاني، أحمد محمد (2019)، ***الغوص بو سبعة أرزاق***، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي.

أبو الحجاج، يوسف (2018)، ***الإمارات العربية المتحدة لؤلؤة الخليج***، دار العماد للنشر والتوزيع، القاهرة.

فرج، مريم جمعة (2014)، ***الغوص على اللؤلؤ "الغوص نظام: اقتصادي، اجتماعي، ثقافي" الإمارات نموذجاً***، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث،دبي.

الحميري، خليفة أحمد بن ثالث (2011)، ***رحلة الغوص واللؤلؤ***، هيئة المعرفة والتنمية البشرية، دبي.

لورمير (1976) ، ***دليل الخليج والقسم الجغرافي الجزء الثالث والقسم التأريخي الجزء السادس***، ترجمة مكتب الديوان،حاكم قطر.

المصطفى، حسين علي (2012)، ***اللؤلؤ مصدر للمعيشة في الإمارات العربية المتحدة***، مجلة الخليج العربي، المجلد 40، العدد 1-2، الامارات.

المندوس، فيصل (2003)، ***الصراع بين القواسم والانجليز في الخليج 1820-1800***، مكتبة الحرمين، أبوظبي.

العيدروس، محمد حسن (2002)، ***الامارات بين الماضي والحاضر***، دار الكتاب الحديث، القاهرة.

الفارس، محمد فارس (٢٠١٣)، ***الإمارات والخليج انهيار اللؤلؤ وسنوات المعاناة في الثلاثينيات والأربعينيات قراءة في الوثائق البريطانية***، دار الواضح للنشر وتوزيع المطبوعات، الامارات.

الفارس، محمد فارس (٢٠٠٣) ***دراسات في تاريخ الإمارات قراءة في الوثائق البريطانية***، دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر، الشارقة.

القاسمي، سلطان بن محمد (2019)، ***سيرة مدينة***، منشورات القاسمي،الشارقة.

راشد، علي محمد (2014)، ***الأسفار البحرية والتجارة قديما في الإمارات***، مطبعة رأس الخيمة الوطنية، رأس الخيمة.

الشرقاوي، أحمد (2015)، ***كنوز الامارات التأريخية والجغرافية***، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة.

هبرة، مصطفى عزت (2004)، ***موسوعة الغوص واللؤلؤ في مجتمع الإمارات والخليج العربي قبل النفط***، المجلد الأول "المحار واللؤلؤ والغوص"، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة.